

ازدهار اللغة العربية وآدابها في نيجيريا: روافد وعوائق

إعداد

أحمد أبو بكر عبد الله

معدّ الدكتوراه جامعة إلورن نيجيريا

GSM NO:- +2348032853267

E-mail address:- abuabdullah152011@yahoo.com

و

مصلح الدين يوسف المرتضى

كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، إلورن ولاية كوارا نيجيريا

E-mail address:- alkorowy2009@yahoo.com

GSM NO:- +2348033418077

بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية تحت عنوان (اللغة العربية في خطر: الجميع شركاء في حمايتها) خلال الفترة 7-10 مايو 2013م الموافق 27-30 جمادى الآخرة 1434هـ في دبي.

بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده.

مقدمة:

للضاد أهمية قصوى لدى المسلمين في نيجيريا وقدم راسخة في تاريخ بلادهم المحروسة، ذلك لوشيحتها المتينة بدينهم الحنيف، ظلت جزءاً لا يتجزأ من حياتهم الدينية والثقافية والسياسية عبر العصور، نتيجة للإقبال الشديد الذي نالت من علمائهم السلف والأدوار الفعالة التي قامت بها نحوها خلفهم العصاميون رغم الإشكاليات التي تحول دونهم من حين لآخر.

وهذه المقالة المتواضعة تتطرق إلى كشف لعالم القراءة الروافد التي ساعدت ازدهار اللغة العربية وآدابها في نيجيريا والعوائق القائمة ضدها، وتتمحور المباحث أو المحاور حول النقاط الآتية:

- موجز تاريخ اللغة العربية وآدابها في نيجيريا

- روافد نهضتها في المجتمع

- العوائق دونها

- مقترحات وتوصيات، ثم الخاتمة.

موجز تاريخ اللغة العربية وآدابها في نيجيريا:

أثبت البحث أن العلاقة التجارية الموجودة بين عرب شمال إفريقيا والنيجيريين في القديم هي أول عامل لدخول اللغة العربية إلى أرض نيجيريا، إذ كان من المتحتم أن يتفاهم البائع العربي والمشتري النيجيري فيما بينهما عبر اللغة عند المساومة على البضائع من حيث التحايا والتلفظ بأسماء البضائع وصيغ العقود فيما بينهم. هنا تأثرت اللغات المحلية -من هوساوية ويورباوية- ببعض الكلمات العربية في أسماء البضائع مثل الحرير والزعفران والسرج والبصل والثوب وغيرها، وبالعقود من الأعداد من عشرين إلى تسعين، وبعض الكلمات التي لا يستغنى

عنها التجار كالغش والأمانة وأمثالهما (شيخو أحمد سعيد 1414هـ-1993م. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا).

وتلو هذا ظهر العامل الديني الذي جعل كل مسلم ومسلمة مضطرين إلى تعلم اللغة العربية لأداء الضروريات الدينية وذلك بين القرنين الحادي والرابع عشرة من الميلاد حين انفجار الإسلام بأرض نيجيريا، وفي إثر هذا أخذ مسلمو نيجيريا (علمائهم) يؤسسون الحلقات الدراسية لأخذ مبادئ الدراسات العربية والإسلامية ليتمكنوا من مناسكهم وعبادتهم على الوجه المرضي عنه، وفي الطليعة القرآن الكريم ثم أصول الدين وفقه الإمام مالك وقواعد اللغة العربية لفهم تلك الكتب بالتدرج. ولعله في أوائل فترة دخول الإسلام دخلت أسماء الأيام العربية وانتشر استعمالها حتى نسي الناس أسماءها المحلية (شيخو أحمد سعيد 1414هـ-1993م. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا). وهناك مصطلحات دينية أخرى دخلت بدخول الإسلام وهي أمثال الحاج والنبي والحرام والعادة والوضوء والزكاة والنية وغيرها، وقد أصبحت هذه الألفاظ جزءاً لا يتجزأ من لسان أهل البلاد إلى الوقت الراهن.

استمرت الحال على هذا ردحا من الزمان إلى أن استغلظت الثقافات العربية واستوت على سوقها ببركة إنشاء المعاهد العليا في أهم المراكز التجارية القديمة أمثال كنو وكتشنا وغيرها، وذلك فيما بين القرن الرابع عشرة الميلادي وبضعة قرون تالية لها، وقد نزل بهذه المراكز الزوار وفوداً وأفراداً من العلماء الأجانب منهم الونغراويون ونشروا فيها العلم (شيخو أحمد سعيد 1414هـ-1993م. حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا)، وبزيارة بعض العلماء هذه البلاد نشرا للعلم وطلباً للعيش والحياة مثل الشيخ محمد مصطفى أفندي نزيل لاغوس 1904م ومؤلف الكتاب المسمى "مفتاح اللغة العربية للتعليم في إفريقيا الغربية"، والشيخ محمد بن عبد الكريم الطرابلسي المرادي المتوفى بمدينة كانو 1926م (الإلوري، آدم عبد الله 1398هـ-1978م. الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني).

ولما كان القرن التاسع عشر الميلادي راجت الثقافات العربية وسادت على يد الشيخ عثمان بن فودي وشقيقه عبد الله، والشيخ أمين الكانمي وتلاميذهم والأبناء لإقبالهم الشديد

على الدراسات العربية وتفرغهم لها، حتى أسسوا سياسة إسلامية واتخذوا اللغة العربية لغة وحيدة لثقافتها وإدارتها وشرائعها، وقد ألفوا بها خلال ذلك عدة الكتب كما دوّنوا بها شؤونهم الرسمية والاخوانية والثقافية، وبقيت تلك الكتب والدواوين مراجع خاصة وهامة للأدب العربي الإسلامي النيجيري إلى اليوم؛ كما هي آثار تدل على أسبقية الثقافة العربية الإسلامية في حقل التشريع والتثقيف والتعليم بل السياسة في نيجيريا وليس سواها.

ولما نزع الاستعمار البريطاني إلى هذا المجتمع في طليعة القرن العشرين وتمّ له التولي عليها تماما وأحل الإنجليزية محل العربية، غيرت الأوضاع وعادت العربية القهقرى وفقدت نشاطها واضمحلت شأنها، وأخذت دعائم ثقافتها التي كان يسعى العلماء المسلمون في بنائها أكثر من سبعة قرون تنهار هنا وهناك، وصارت العربية لا يسمع لها إلا في الكتايب والدهاليز حيث قراءة القرآن ومبادئ العلوم، ومجالس الذكر والمناسبات الإسلامية الخاصة أو المواسم الدينية وفي المساجد.

فعل المستعمرون فعلتهم التي فعلوا ورحلوا عن البلاد بعد أن حققوا أمنيتهم، وتركوا لأهلها لسانهم ليكون رمزا في البلاد وأثارا تدلّ على استعمارهم إيها، وقد خلف من بعدهم خلف استهانوا بالدين وتغافلوا عن الحق واتبعوا الهوى وأفسدوا المجتمع وظنوا السراب ماء وأبدلوا بترائهم الذهبي حطام مصطنعة تافهة.

هذا، وقد فطن مسلمو نيجيريا المتحمسون للإسلام وثقافته إلى دسائس المستعمرين وأذناهم وعملوا بجد لاستعادة جنتهم المفقودة بكل وسيلة، وقاموا بدورهم نحو ذلك ومن أولئك الزعيم أحمد بلو حفيد الشيخ عثمان بن فودي، وقد عمل على إنشاء جماعة نصر الإسلام عام 1964م، لربط هذه الجماعة بنظام جده الأعلى -عثمان بن فودي- فتأثر لذلك باتصاله برابطة العالم الإسلامي وبرجالات الدعوة الإسلامية في العالم العربي وتأسيا بالحكومات التي تنشئ منظمة دينية موالية لها، وقد تكون أعضاؤها من الأمراء والوزراء والنواب والقضاء الشرعيين والعلماء، وكان هدفها الاهتمام بشئون الإسلام التي لا يمكن النظر فيها تحت إطار الحزب الحاكم الذي يتألف من مسلمين وغير مسلمين أو لا يمكن النظر فيها في البرلمان بحكم

نص الدستور بعلمانية الدولة (الإلوري، آدم عبد الله 1405هـ-1985م. الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا)، وللزعيم همة عالية بإعادة مجد آباءه وأجداده في الإسلام وكان له رغبة ملحة في إقامة الجامعة الإسلامية شبه الدول الكومنويلث البريطاني، وقد طاف العالم العربي حاملا الدعوى إلى تحقيق ذلك (الإلوري، آدم عبد الله 1405هـ-1985م. الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا).

وقد نذر نفسه لنشر الدعوة في غرب إفريقيا إحياء لآثار جده الأعلى عثمان بن فودي وكان يرى ضرورة جعل نيجيريا دولة إسلامية بنص الدستور حتى ولو كان يؤدي ذلك إلى انفصال شمال نيجيريا من الكتلة الفيدرالية (الإلوري، آدم عبد الله 1405هـ-1985م. الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا).

ولما اطلع الأعداء على هذا العزم القوي من الزعيم أحمد بلو وأيقنوا أنه لو عاش طويلا لما وقف أمامه شيء يمنعه من تحقيق أهدافه، لما شاهدوا له ملامح النجاح وتباشير الانتصار، ولهذا تحينوا غفلته واغتلوله هو وأنصاره من المدنيين والعسكريين وكان زعماء الأحزاب السياسية يتغنون بكلمة فصل الدين عن السياسة والدولة يطبلون لها ويزمرون، لعلمهم أن المسلمين يشكلون الأغلبية الساحقة فإذا جمعت نيجيريا بين الدين والدولة فإن النصارى سينصهرون في بوتقة الإسلام تماما ثم لا يكون لهم كيان في إفريقيا كلها، فإن فصل الدين عن الدولة في صالحهم (الإلوري، آدم عبد الله 1405هـ-1985م. الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا).

وفي الجنوب الغربي من البلاد ظهرت الجمعيات الإسلامية ضد مؤامرات الحكومة الاستعمارية الداعية إلى فصل الدين من الدولة وتجريد بعض المدارس الحكومية التي تأسست بأسماء الإسلام، وفي طليعتها جمعية أنصار الدين 1923م، والزمرة الإسلامية 1926م، وجمعية نوار الدين 1934م، وجمعية أنصار الإسلام 1945م وغيرها، وقد ملأت هذه الجمعيات المدن والقرى بالمدارس الإسلامية، التي جعلت مهمتها تسليح أبناء المسلمين بالثقافة الإنكليزية التي أصبحت ضرورية لأبناء البلاد مع الإمام بمبادئ الدين واللغة العربية، وقد أعدت هذه المدارس الطبقة المثقفة من أبناء المسلمين الذين يشاركون أقرانهم في مختلف الميادين اليوم.

(الإلوري، آدم عبد الله 1398هـ-1978م. الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني).

وفي سبيل خدمة الإسلام ونشر اللغة العربية أنشأ بعض العلماء والجماعة الإسلامية المدارس العربية الإسلامية في ربوع البلاد؛ ومن هذه المدارس مدرسة الشريعة الإسلامية بكنو 1937م تأسست على يدّ المرحوم الأمير عبد الله بايرو، ومركز التعليم العربي الإسلامي بأغيني ولاية لاجوس سنة 1952م، لمؤسسها المرحوم الشيخ آدم عبد الله الإلوري، ومعهد زمرة الصالحين أسّسه المرحوم الشيخ الإمام أبو بكر صلاح الدين أبارغدوما بالورن سنة 1953م، ومعهد التعليم العربي بأوؤو، ولاية أُونْدُو على يد الشيخ خضر صلاح الدين أبا أُوْكَاغِي سنة 1955م، والمعهد العربي النيجيري إبادن للشيخ مرتضى عبد السلام 1957م، ومعهد إالورن الديني الأزهري سنة 1963م على يد الشيخ محمد كمال الدين الأدبي وغيره.

وعلاوة على ذلك توجد أقسام الدراسات العربية في المعاهد العليا الحكومية والأهلية وفي طليعتها قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة إبادن 1961م، وقسم اللغة العربية بجامعة أحمد بلو زاريا 1962م، وبجامعة إالورن 1975م، وجامعة بايرو كنو 1975م، وجامعة عثمان دن فوديو صكتو 1975م، وجامعة ولاية لاجوس 1990م، وجامعة أدُو ولاية أَيْكْتِ 1997م، وجامعة الحكمة إالورن 2005م، وكلية التربية إالورن 1975م، وكلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية إالورن 1992م، وكلية زليخاء أيبولا للدراسات العربية والإسلامية أيبوكوتا سنة 1984م، وكلية مفتاح أُولَاهُنْ إِبَادَنْ 1993م وغيرها.

هذا، ولا يغفل الدور البارِع الذي قام به علماء الدهاليز في هذا الصدد في تزويد الطلبة بالثقافات العربية وآدابها الإسلامية، من أمثال الشيخ موسى أْتِيرَا أُوْكَيلِيْلِي الإلوري، والشيخ عبد الرحمن أَلْبِدُنْ الإلوري، والشيخ أحمد مصطفى الزكوي نزيل لاجوس، والشيخ آدم نمعاجي الكنوي، والشيخ عبد السلام يوسف أَلِكِنَلَا الأدبي الإلوري نزيل إِبَادَنْ، والشيخ أحمد بن بوصيري إُوُو المشهور بشيخ غَهَا أَعُوْدِي، إِبَادَنْ، والشيخ سعد الدين ألفا كورو الإلوري، والشيخ عمر مَكَانَ الإلوري.

ولهذه المؤسسات العلمية المذكورة وغيرها فضل في انتشار اللغة العربية في هذه الديار، وقد تخرج فيها الطلبة الذين قاموا بالحركات الأدبية الملموسة في دفع عجلة اللغة العربية وثقافتها لا في داخل الدولة فحسب حتى في خارجها بشكل عام.

روافد النهضة في المجتمع:

انطلاقاً مما تقدم عليه الحديث سابقاً نفتح المجال للغة العربية وآدابها أن تزدهر وتترقى في ديار نيجيريا، إثر التطورات المحمودة والتغيرات الإيجابية التي انعكست في مضمارها في المجتمع المعاصر عن طريق الجهود الجبارة التي بذلها العلماء، وتمكن الإشارة إلى بعض تلك التطورات تحت النقاط المنصوصة أدناه:

- المدارس العربية الإسلامية
- الشخصيات العلمية البارزة
- التأليف والترجمة
- البعثات العلمية إلى بلاد العرب
- الجمعيات العلمية والأدبية
- المجالات الأدبية والثقافية
- المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية
- المطابع

أولاً: المدارس العربية الإسلامية:

لا شك أن الأدوار التي لعبتها المدارس العربية الإسلامية من حيث تثقيف عقول الأفراد وفتح عيونهم في حقل التعليم والدعوة هي مصدر نهضة الثقافات العربية وآدابها في المجتمع النيجيري، ذلك أنه توجد في كل مدينة متدينة بالإسلام مدارس عربية إسلامية تخرج طلبة العلم كل سنة في سبيل الدعوة ونشر الثقافة الإسلامية طول البلاد وعرضها، وتكفي خير مثل لتلك المدارس مدرسة الزمرة الأدبية الكمالية بالورن 1930م، ومدرسة الشريعة الإسلامية ومدرسة العلوم العربية بمدينة كَنُو 1937م، ومركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي 1952م، وقد تخرج

في هذه المدارس عدد غفير من الطلبة الذين خدموا العربية وعملوا على نشر ثقافتها لا في المجتمع النيجيري فحسب بل وفي جميع ربوع العالم بصفة عامة.

وفيما بعد ظهرت المعاهد العليا وعمل جنبا إلى جنب مع هذه المدارس الإسلامية في هذا الصدد، وتُعدّ كلية إبادن الجامعية -جامعة إبادن حاليا- أول صرح علمي عال قام بالدور الفعال تجاه التعليم العربي في نيجيريا، وقد فتحت قسما خاصا للتعليم العربي والدراسات الإسلامية في سنة 1961م، ويسرت للملتحقين شروط القبول فيها، وكذلك جامعة شمال نيجيريا 1962م -جامعة أحمد بللو حاليا-، ثم الجامعة إلورن التي فتحت باب دراستها سنة 1976م وكان قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية من الأقسام الأساسية التي تمثل كيان هذه الجامعة عند الإنشاء؛ وظلت هي في دورها الفعال من حيث تخريج الطلبة العربية والإسلامية على مختلف المستويات العلمية والدرجات الأكاديمية إلى اليوم.

يضاف إلى ما ذكرنا الكليات التابعة لتلك الجامعة من أمثال كلية عبد الله بايرو بكنو التي يرجع تاريخ إنشائها إلى سنة 1960م باسم كلية أحمد بلو ولما أنشأت جامعة أحمد بلو نسبت إلى ذلك الاسم، وقد أصبحت هذه الكلية جامعة مستقلة بعد سنة 1975م، وكذلك كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية لولاية برنو، وكلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية لولاية كوارا بمدينة إلورن، وكلية التربية لولاية كوارا بمدينة إلورن ومدينة أورزو، وكلية التربية الفيدرالية بمدينة كُتْنَعْرَا ولاية نيجر وأختها بمدينة أُوْكَيْيْ، ولاية كوجي وغيرها، ولهذه المعاهد قسط لا يستهان به في نهضة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا.

ثانيا: الشخصيات العلمية البارزة:

ثبت تاريخا أن الشيخ عثمان بن فودي وأخاه عبد الله جمعا بين التعليم والجهاد والتأليف وكانا أكثر الرجال النيجيريين إنتاجا للكتب، وقد عُدَّ لعبد الله المتوفى 1829م ما يربو على خمسين مؤلفا في أنواع العلوم الدينية والاجتماعية والأدبية؛ ولذا سار ذكره الخافقين حتى لقب "أستاذا" و"نادرة الزمان وعلامة السودان".

وقد اقتفى بهذا الأثر طرف من العلماء اللاحقين بهما اللذين جمعوا بين الدعوة والتعليم والتأليف نذكر منهم الشيخ الجنيد بن محمد البخاري الوزير، والشيخ محمد ناصر كبرى الكنوي القادري، والشيخ أبوبكر محمود غمي القاضي، والشيخ أبوبكر صلاح الدين أبرغدوما الإلوري، والشيخ محمد بن إبراهيم ميماسا النفاوي، والشيخ آدم عبد الله الإلوري، والشيخ إبراهيم صالح بن يونس الحسنى المكي البرناوي، والشيخ مصطفى زغلول السنوسي، والشيخ عبد اللطيف أحمد أديكليكن، وللعلامة الإلوري بإضافة إلى حركة التعليم والوعظ ما يناهز مائة تأليف في العلوم العربية والإسلامية والإنسانية.

وينخرط في سلكهم الأساتذة العاملون في الحقل الأكاديمي منهم المرحوم الدكتور علي أبوبكر جامعة ميدغوري سابقا، والبروفيسور إسحاق أديجوجو أوغنييه جامعة لاغوس سابقا، والبروفيسور شيخو أحمد سعيد غلادنت رئيس جامعة صكتو سابقا، والمرحوم البروفيسور علي نائب سويد بجامعة بيرو سابقا، والبروفيسور زكريا إدريس - أبو حسين بجامعة إلورن، والبروفيسور عبد الرزاق أديرمي أبوبكر بجامعة إلورن، والبروفيسور عبد الباقي شعيب أغاك بجامعة عثمان بن فوديو صكتو، والبروفيسور محمد أول أبوبكر بجامعة كنو، والبروفيسور أحمد عبد السلام بجامعة إلورن، والدكتور قاسم بدماصي بجامعة الحكمة إلورن، والبروفيسور حامد محمد الثاني بجامعة لاغوس، والبروفيسور مصطفى بدماصي بجامعة لاغوس، والدكتور حمزة عبد الرحيم بجامعة ولاية كوارا، مليتي، والدكتور أحمد سعد الكاتي إبراهيم بجامعة إبراهيم باباغدي، والدكتور عيسى أبو بكر ألي بجامعة إلورن، والدكتور عثمان عبد السلام الثقافي بجامعة إلورن، والدكتور مشهود محمود جمبا بجامعة ولاية كوارا وغيرهم كثيرون، ولا شك أن حركات هؤلاء الأساتذة الدؤوبة وإنتاجاتهم الهادفة مما أسهم إسهاما بالغا في هذه النهضة.

ثالثا: التأليف والترجمة:

للتربة والتأليف قسط لا يستهان به في نهضة الأدب العربي في المجتمع النيجيري، وقد أنتج أدباء نيجيريا كتبا عديدة في اللغة العربية وآدابها، ولا نزاع أن علماء المدارس الإسلامية هم رواد هذا الميدان وعلى رأسهم المرحوم الشيخ آدم عبد الله الإلوري حيث وضع المقررات

للدراستات العربية لطلبة مركزه للتعليم العربي الإسلامي والمدارس المنتسبة إليها، ومن الكتب العربية والأدب العربي الذي تم إصداره على أيدي علماء نيجيريا: "تزيين الورقات بجمع بعض ما لي من الأبيات" للشيخ عبد الله بن فودي، و"مصباح الدراسات العربية في ديار نيجيريا" للشيخ آدم عبد الله الإلوري، و"الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960م" للدكتور علي أبو بكر، و"حركة اللغة العربية في نيجيريا" للبروفيسور شيخو أحمد غلادنت، و"كيف نتذوق الأدب العربي" للبروفيسور علي نائب سويد، و"أساليب بلاغية في ديوان الأستاذ عبد الله بن فوديو" للبروفيسور عبد الباقي شعيب أغاك، و"محمد النويهي والنقد الأدبي" للبروفيسور محمد أول أبوبكر، و"المأدبة الأدبية لطلاب العربية في إفريقيا الغربية" للبروفيسور زكريا إدريس -أبو حُسين، و"مكنز المجازات القرآنية" للبروفيسور أحمد عبد السلام، وديوان الشعر "السطور العاطرة" للأستاذ أحمد سليمان أَدْيَبَايُو، و"مستقبل اللغة العربية في نيجيريا" للبروفيسور مرتضى بدماصي، و"المدخل إلى فونولوجيا العربية" للدكتور حمزة عبد الرحيم، و"التربية وطرق تدريس اللغة العربية والدين لطلاب كليات التربية والجامعات بنيجيريا" للدكتور أحمد سعد الكاتي إبراهيم بجامعة إبراهيم باباغدا لي، وديوان الشعر "الرياض" للدكتور عيسى ألي أبو بكر، و"تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن من العصر الإسلامي إلى عصر ما بعد الاستقلال" للدكتور عثمان عبد السلام الثقافي، و"من إلورن إلى تمبكتو رحلة عبر جنوب الصحراء الكبرى بحثا عن ماضي إفريقيا" للدكتور مشهود محمود جمبا، ورواية "السنة" لمرتضى عبد السلام الحقيقي، و"دراسات في أمثال العربية واليورباوية" لصالح محمد جمعة أالشو، ورواية "خادم الوطن" لحامد محمود إبراهيم الهجري، و"المخطوطات العربية الإلورية: تاريخ وثقافة وفن" لأحمد أبوبكر عبد الله، و"العقاد ورؤيته النقدية" لعبد الحكيم عيسى جبريل، و"المهارات اللغوية لطلاب اللغة العربية" للدكتور عثمان إدريس الكنكاوي وغيرها.

وأما حركة الترجمة فقد بدأت بترجمة قصص وروايات محلية إلى اللغة العربية مثل كتاب القصص المعنون "القصص الشعبية عن السلحفاة عند اليورباويين - سكان غرب نيجيريا" الذي أصدره الأستاذ إسحاق أوغنييه، ورواية "قصب المخيم" على يد البروفيسور أحمد عبد السلام

من أصل اليورباوية لكتابها الروائي اليورباوي دي. أو. فاغنو، ورواية "الأعشاب الملتهبة" من أصل الإنجليزية للكاتب سبرن أيكونسي على يد البروفيسور مسعود راجي، ثم "الصيد الجريء في غابة العفاريت" للكاتب اليورباوي المذكور على يد الدكتور مشهود محمود جمبا، ومسرحية "الحبل الأبيض في أيدٍ ملوثة" على يد آدم سراج الدين من أصل الإنجليزية وواضعها سعيد سليمان وأمثالها.

رابعاً: البعثات العلمية إلى بلاد العرب:

ظهرت فكرة إرسال البعثات إلى البلدان العربية للتعلّم العربي والإسلامي في الاجتماع السادس عشر للمجلس التنفيذي الذي عقدته الحكومة النيجيرية في تاريخ 26/مايو/1952م، وتمثل هذه الحركة عاملاً رئيساً من عوامل النهضة الحديثة في اللغة العربية وآدابها في هذه الديار، حيث إن المبعوثين اكتسبوا خلال هذه الفترة خبرات ومعلومات أهلتهم لمواجهة التحديات العلمية المعاصرة بعد العودة، ونذكر من المبعوثين على سبيل الذكر لا الحصر، المرحوم الدكتور علي أبوبكر إلى مصر، والبروفيسور شيخو أحمد سعيد غلادنت إلى مصر، والمرحوم الشيخ أبوبكر بن محمود غومي قاضي قضاة الشماليين إلى السودان، والبروفيسور عبد الباقي شعيب أغاك إلى ليبيا، والدكتور حمزة إشلولا عبد الرحيم إلى ليبيا، والبروفيسور أحمد شيخو عبد السلام إلى المملكة العربية السعودية، والدكتور قاسم بدماصي إلى المملكة العربية السعودية، والشيخ عبد اللطيف أديكليكن إلى مصر، والدكتور عبد الحميد أمين الله أولوهن أوين إلى مصر، وقاضي القضاة بالشرعية الاستئنافية ولاية كوارا القاضي إدريس هارون إلى ليبيا، والدكتور مشهود محمود جمبا إلى مصر، والدكتور خضر عبد الباقي إوو إلى المملكة العربية السعودية وغيرهم، وقد ملأ هؤلاء الأماكن الشاغرة للغة العربية وأبلوا فيها بلاء حسناً وعملوا على دفع عجلة اللغة العربية وآدابها إلى الأمام في هذه الديار.

خامساً: الجمعيات العلمية والأدبية:

أنشأ العلماء والأدباء النيجيريون بعض الجمعيات الأدبية لبث الثقافات العربية الإسلامية والأدبية في المجتمع، وأظهرها جمعية مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية في

نيجيريا (نتائس)، ومن مهامها عقد المؤتمرات الأكاديمية العربية والإسلامية في المعاهد العلمية العالية في جميع ربوع البلاد، وتقديم الأوسمة التقديرية لذوي الإسهامات البارزة نحو حركة اللغة العربية والثقافات الإسلامية في المجتمع، وإلقاء المقالات العربية والأدبية والإسلامية.

وفي مطلع فجر القرن الحادي والعشرين ظهرت هيئة الأدب الإسلامي في مدينة إلورن على يد الأستاذ الدكتور عبد الباقي شعيب أَعَاكْ، وكانت أول من نوعها في المجتمع النيجيري الثقافي، من حيث إقامة الندوات الثقافية في المدارس الإسلامية وعقد الجلسات والمحاضرات في المناسبات الإسلامية المختلفة، وقد ابتكرت الهيئة جلسة محاضراتها بساحة مدرسة الزمرة الأدبية الكمالية سنة 1425هـ/2004م بمناسبة تعيين المرحوم الدكتور محمد كمال الدين الأدبي مفتي إلورن، بعنوان "صفحات مشرقة عن حياة سماحة الشيخ محمد كمال الدين الأدبي المفتي".

وللهيئة تسلسل المحاضرات تفضل بإلقائها الأساتذة والدكاترة الأفاضل في أحياء المدينة، من أمثال الدكتور شعيب السيوطي أُوْلُوغَيْلِيّ والدكتور عبد الرزاق محمد الكاتبي والدكتور مشهود محمود جمبا وغيرهم، ولها أيضا حركات علمية وثقافية بالتعاون بعض الجمعيات والمؤسسات الأخرى مثل الحلقة الثقافية للتوعية عن المخطوطات العربية بإمارة إلورن التي نظّمها مكتب الآثار الإلورية سنة 2010م/1431هـ، وقد حضرها طلبة المدارس الإسلامية وأساتذتها والدعاة المسلمين بالدعوة من الهيئة، ومن حركات الهيئة أيضا نشر المخطوطات وإصدار المجلات ونشر محاضراتها المتراكمة.

سادسا: المجالات الأدبية والثقافية:

المجلة هي الصحيفة تجمع طرائف المعرفة. (مجمع اللغة العربية بالقاهرة 2004م. المعجم الوجيز) وللمجلات العلمية التي تصدرها الجهات العلمية على مختلف المستويات العلمية والمراحل الدراسية دورها الملموس في ثقافة هذه الأمة الإسلامية، لأنها تعتبر ملتقى الباحثين الغرقى والأساتذة الخبراء المعنيين، كما هي سجل للعلوم والآداب ومرجع للبحوث العلمية والثقافية. نشير فيما يلي على سبيل الذكر إلى بعض من المجالات العربية الإسلامية التي كانت ولا تزال تُوثق أكلها كل حين:

"النهضة" من جامعة صكتو، ومجلة الدراسات العربية والدينية من جامعة إلورن، ومجلة الدراسات العربية والإسلامية من جامعة إبادن، ومجلة الجمعية الوطنية لمدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية "نتائس"، ومجلة "جوسل" من كلية التربية لولاية كوارا، إلورن، ومجلة "إجوح" من كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية، لولاية كوارا، ومجلة أسبوع الشيخ آدم عبد الله الإلوري الثقافي السنوي، من مركز التعليم العربي الإسلامي بأغيغي، ومجلة السعادة من المدرسة السعدية الصالحية إلورن، علاوة على المجالات التي تصدر سنويا عن طلاب الدراسات العربية والإسلامية في المدارس والكليات والجمعيات النيجيرية، مثل مجلة الوعي من طلاب اللغة العربية والدراسات الإسلامية بكلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية لولاية كوارا، إلورن، و"الآثار" التي تصدر من النقابة المركزيين فرع جامعة صكتو وغيرها. وهذه المجالات وغيرها لمن أهم العوامل التي ساعدت في نهضة اللغة العربية وثقافتها الإسلامية في الديار النيجيرية على الصعيد الدولي والعالمي.

سابعا: المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية:

للندوات والمؤتمرات العربية الممتازة التي تقيمها المؤسسات العلمية دورها الإيجابي في ازدهار اللغة العربية وآدابها في ديارنا نيجيريا، نذكر منها سلسلة المؤتمرات السنوية لجمعية مدرسي اللغة العربية والدراسات الإسلامية بنيجيريا تحت العناوين العلمية والثقافية والأدبية المختلفة، وكذلك الندوة الدولية التي نظمتها كلية الدراسات العربية والشريعة الإسلامية بمدينة إلورن عام 2005م، تحت عنوان "اللغة العربية في نيجيريا: ماضيها وحاضرها"، والندوة العالمية التي نظمها قسم اللغة العربية بجامعة صكتو عام 2010م حول المخطوطات العربية الإسلامية بغرب إفريقيا، والندوة الدولية التي نظمها قسم الدراسات العربية والإسلامية جامعة ولاية كوفي أنيغا عام 2010م تحت العنوان "التحديات التي تواجه الدراسات العربية والإسلامية بإفريقيا الغربية في القرن الحادي والعشرين"، والمؤتمر الدولي الذي أقامته كلية الآداب جامعة إلورن عام 2012م حول حياة الشيخ آدم عبد الله الإلوري وأعماله، بإضافة إلى ورشة العمل الموسومة "الملتقى الأول لمدرسي اللغة العربية" التي أقامتها الشعبة العربية بجامعة الحكمة إلورن عام 2011م، والتي أقامتها جامعة إبادن عام 2012م بالنسبة إلى المخطوطات العربية وهكذا دواليك.

ثامنا: المطابع:

في المجتمع النيجيري الثقافي القديم كانت الكتب العربية منتسخة باليد، لذلك كان وجود الكتب حينذاك صعبا وحصول على المراجع العلمية لدى أهلها أمر غير هين، مما قد يؤدي إلى التآني في انتشار الثقافة وكانت علة في قلة تراث العلماء القدامى، لأن كثير من إنتاجهم العربية قد اندرست مع الدواليب لعدم وجود المكان للطبع وكان بعضها المخطوط قد احمى بمرور الزمان عليه. ولما انتشرت آلات الطباعة في المجتمع أدى إلى وفرة المؤلفات مما عمل في نقل حركة اللغة العربية وآدابها إلى الأمام. ومن المطابع التي يشار إليها بالبنان في هذا الصدد هي مطبعة جامعة إبادن، ومطبعة كيوليري بالورن، والمطبعة الثقافة الإسلامية أجيحي، ومطبعة شيبأوتما إجيبيو أودي، ومطبعة توفيق الله إالورن، ودار الأمة لوكالة المطبوعات بكنو، ومطبعة ألي جمبا إالورن، ومطبعة المضيف بالورن، ومطبعة كيودملولا إالورن، ومطبعة الحكمة للتصميم والنشر، لاغوس وغيرها، ولا يخفى لذي العينين ما لهذه المطابع من الأدوار الملموسة في فعالية اللغة العربية وآدابها في عصرنا الراهن.

العوائق دون الازدهار:

وعلى الرغم من التطورات الطائلة التي شهدتها اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من الجهودات الجبارة التي بذلها السلف الصالح والإسهامات المحسوسة التي قدمها الخلف التابع؛ ظلت عوائق تعترض الطريق إلى الأمام، نذكر العوائق فيما يلي وتتناولها للشرح بعد ذلك واحدا تلو آخر:

- عائق سياسي
- عائق ثقافي
- عائق اقتصادي
- عائق اجتماعي

العائق السياسي:

والعائق الذي يعترض اللغة العربية وآدابها في نيجيريا من الناحية السياسية ينجم من كراهية أعداء الإسلام للغة العربية وأهلها، وعدم اعتراف المدّعين بالإسلام ولم يعرفوا منه إلا

اسما بأن العربية دينامو ينبض بالحياة كلها وأنها قد أدت أدوارا ملموسة في تاريخ البلاد عبر العصور. ونيجيريا ذاتها بلاد علمانية معترفة بجميع أديان المواطنين بما فيها الإسلام الذي يمثل أهله نسمة هائلة من السكان، ولكنها لم تقم لثقافته العربية وزنا واعتبارا لائقا.

وعلى الرغم من أن اللغة العربية من اللهجات المحلية التي يتفاهم بها قبيلة من القبائل الوطنية يسمون سؤوا في شمال البلاد؛ فضلا عن أنها أول لغة ثقافية خدمت هذا المجتمع في جميع الميادين لمدة سبعة قرون قبل الاحتلال الاستعماري وقد جعلت الإنجليزية الاستعمارية رسمية في المرتبة الأولى، كما جعل محمد الثاني عبش الرئيس النيجيري العسكري السابق اللغة الفرنسية -التي لا كيان لها في المجتمع- في المرتبة الثانية عملا بمراعاة حق الجوار للدول المجاورة التي تتحدث بها وإهمالا لحق القرابة في المواطنين المسلمين الذين عكفوا حياتهم للغة العربية؛ وأي حق أخرى بالتقديم أ حق الجوار أم حق القرابة؟

ومن الانتقاص في هذا الصدد أنه في احتفال الاختتام لمباراة كرة القدم لكأس الأمم الإفريقية التي أضافتها دولة تونس سنة 1994م حيث برعت الفرقة النيجيرية بالدرجة الأولى، إذ بمراسل صحافي نيجيري أثار غضبانا حينما كان يقابل أحد لاعبي تونس باللغة الإنجليزية وأحار اللاعب جوابا باللغة العربية الفصحى التي هي لسان بلادهم الرسمي، ولما سئل عن سبب غضبه أجاب قائلاً إن اللاعب التونسي كان يجيبه بلغة أجنبية بدلا من الإنجليزية الرسمية، وهذا -فعلا- لعار بيّن من قبل الحكومة لأنها لو اعترفت بالعربية لتوظّف ضمن المراسلين إلى الوطن العربي المثقفين بالعربية الذين يستطيعون خدمة وطنهم من هذه الناحية، كما هو الحال في فرنسا وإنجلترا والأمم المتحدة الأمريكية وغيرها من البلدان المتمدنة.

العائق الثقافي:

لا جدال أن السياسة التربوية النيجيرية ترخّب بالدراسات العربية في مدارسها من المرحلة الأساسية حتى المرحلة الجامعية والدراسات العليا، ولكن هناك عيب نستنبطه هنا بالنسبة للمرحلة الثانوية التي تعدّ أساسا للمراحل الدراسية والتي فيها يُعدّ الطلبة للتخصص فيما تقع عليه رغبته في الدراسات اللاحقة، والنقص هنا هو عدم إلزام دراسة العربية للطلبة بل جعلت

من بين المواد الاختيارية في المرتبة الثالثة، وكانوا يعفون عنها كأنها لغة جافة لا تصلح لحياة صاحبها أي شأن، ويا حبذا لو جعلت مادة إجبارية للطلبة لأن دورها في الحياة مثل دور الإنجليزية يتخصص فيها المسلمون وغيرهم في الأقطار المتقدمة لخدمة المجتمع والإنسانية وأداء الوظائف العامة.

ومن هذا القبيل عدم توحيد المناهج الدراسية في المدارس الإسلامية الأهلية الذي يسبب التباين في مستويات الطلبة وخلفيتهم، وعندما تختار مدرسة منهج المدارس العربية في المملكة العربية السعودية ترى غيرها تنبني سواه للدراسات في جمهورية مصر العربية، على حين يفضل بعض منهج وضعه المجلس القومي للدراسات العربية والإسلامية (MBAIS) بمعهد التربية، جامعة أحمد بللو زاريا نيجيريا، وظل بعض في استخدام المنهج التقليدي.

والحقيقة أن لكل بلاد منهجها الدراسي التي وضعها الفلاسفة التربويون نظرا للسياسة التربوية التي تبنتها البلاد، وعليه ندعو المدارس العربية الإسلامية في نيجيريا أن تراجع مناهجها الدراسية معا لتتماشى على وطيرة واحدة، وقد تمت الآن موافقة الحكومة الفيدرالية النيجيرية على منهج المجلس بمعهد التربية، جامعة أحمد بللو السالف الذكر وأصبح بهذا أخوا رسميا لـ وَيَكُ (WAEC) "مجلس الامتحان لغرب إفريقيا"، وَيَكُ (NECO) "المجلس الوطني لامتحان" في الحقل العلمي النيجيري. وإن لم يمكن انتساب المدارس العربية الإسلامية إلى المعهد بالأسر، ونوصي بتبني منهجه الدراسي؛ لأن مفرداته سليمة وتضمن المواد الرئيسة التي لا بد منها للطلاب النيجيري مثل مادة الإنجليزية والرياضية.

علاوة على ذلك إن الثقافة الإنجليزية قد أفرضت نفسها على كل مثقف اليوم وكان جهلها ظاهرة من الظواهر التي تحول بين المثقف بالعربية وبين الحقوق العامة في المجتمع؛ بل إن ذلك من العوامل التي تعوق عن الخطة إلى الأمام إن لم تكن أخطرها، لأن الدارس العربي يعامله المجتمع النيجيري بالإنجليزية ويحاسبه بها، وعليه يجب التشقف بالإنجليزية بإضافة إلى العربية مكافحة للانتقاص الذي يعيرنا من هذه الناحية، لأنها وسيلتنا إلى الغاية وكل ما يتوصل بها إلى الغاية وهو واجب وأن العلم على العلم -طبعاً- ثقافة على ثقافة.

العائق الاقتصادي:

ولاشك أن للاقتصاد شأنًا كبيرًا في حياة طالب العلم والعاكف عليه، فالإشكال هنا يمس كل من طالب العلم وناشره في هذا المجتمع، وقد أفاد البحث أن الرجال الأوائل قد عانوا كثيرا من الفاقة وشظف العيش في سبيل نشر العلوم في المجتمع النيجيري، ذلك لأن وسائل إمكانيات العيش وزخارف الحياة لم تخضع لهم، حيث إن علماء الكتاتيب والدهاليز ليس هناك مستورد معين يستمد منه عيشهم ويستند إليه، بل يتكلمون دائما على نصر من الله من حيث ما أتاهم. بل ومنهم من يكتسب معيشة من نسج الثياب، وبعضهم من الوشي على القميص أو على البرانس، وبعضهم خطاط يكتب المصاحف وكتب العلوم للراغبين فيها (الإلوري، آدم عبد الله 1982م. لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن)، ومع ذلك فإن الإيمان القوي الذي كان يحفزهم قد أدى بهم إلى حمل هذه المسؤولية إلى ما ألفيناهم عليه.

وهكذا الأمر إلى العصر الراهن خاصة في مدارس الدهليز والمدارس النظامية الأهلية الأمر الذي جعل كثيرا من أبناء المسلمين يتعطلون نهائيا عن طلب العلوم العربية والثقافات الإسلامية إلى الثقافات الغربية التي تيسر لهم الحياة الرسمية في المستقبل القريب بعد أن مكثوا برهة في طلبها، أو إلى التجارة أو الحرفة التي يمكنهم من حصول على العيش الرغيد في أسرع الوقت.

حكى أحد من تلاميذ الدهليز الوطني في القديم عن نفسه أنه لما كان يقرأ على شيخه كتاب الفواكه الساقطة وصل منه البيتين التاليين:

حياة بلا مال حياة مذلة كلام بلا جاه كلام مضيع
وإن كنت ذا مال وأنت محب وقولك مقبول وحكمك يتبع

تفكر في مدلول البيتين وتشاءم بمستقبله، كما رُقَّ لحال شيخه الذي كان يجمع بين الفطور والغداء بالمديدة الحارة ولا يأتيه المال إلا في حين الحاجة وبقدر ما يقضيها به؛ وهو مع ذلك للحال راض وإلى الدراسة داع قائلا: "إن أجرة العلم وأجره في الآخرة عند المولى الأجل"، وهكذا عدل عن التلمذة إلى التجارة.

كم من طلاب الدراسات العربية والإسلامية حصل على القبول في المعاهد العليا وأعجزته الرسوم الدراسية الباهظة عن المواصلة، وربّ أديب ألف كثيرا في اللغة العربية وآدابها ومنعه السعر عن النشر، وداع مثالي متمكن في الوعظ والإرشاد ويشغله ما يسد به الرمق عن الدعوة والتبليغ وهكذا.

العائق الاجتماعي:

للمجتمع النيجيري أيضا إشكاليته نحو اللغة العربية وآدابها، غير أنه غير ملوم عليه لأن الحكومة الغربية التي تحكم المجتمع هي التي غرّبتة حين آثرت الثقافات الغربية وظلت تنفق نفسا ونفيسا في سبيلها. والمواطنون النيجيريون بما فيهم المسلمون يرغبون الأبناء عن الثقافات العربية الإسلامية، بحجة أنها لا تخلق لهم مستقبلا باسما، بغض النظر عن بعض أعيان المجتمع الذين ارتقوا العلا وبلغوا الذروة بهذه الثقافة، ومنهم الشيخ عثمان بن فوديو وشقيه عبد الله، والشيخ آدم عبد الله الإلوري وغيرهم ممن سار ذكرهم الركبان ولم يعرفوا سوى العربية الإسلامية، وهناك البروفيسور شيخو أحمد غلادنت الذي تولى رئاسة السفارة بين المملكة العربية السعودية ووطنه النيجيرية لمدة طويلة واحتل رئاسة جامعة صكتو بالشهادة العربية، كما فعل البروفيسور إسحاق أوّلويديّ بذلك في جامعة إلورن رغم أنف غيره من الذين يحملون الشهادة في الطب والإنجليزية والهندسة والصحافة والتقنية وغير ذلك من التخصصات التي زينها المجتمع وعلّقوا لها الأهمية والفضل، وكذلك القاضي إدريس هارون قاضي القضاة بالمحكمة الشرعية الاستئنافية في ولاية كوارا المتخصص في اللغة العربية وآدابها وغيرهم كثيرون.

مقترحات وتوصيات:

انطلاقا من الإشكاليات التي سقنا الحديث عنها في المحاور السابقة نوّد تقديم بعض اقتراحات وتوصيات نحو اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ولأمثالها من الأمم التي تعاني من العراقيل في سبيل دفع عجلة اللغة العربية إلى الأمام، ونقول إضافة إلى ما قد ارتأينها سابقا في ثنايا المحاور:

- أن تكون هناك المؤسسات الخيرية يتصل بها أصحاب الكتب العربية والأدبية المخطوطة لتكليف الطباعة والنشر لإنتاجاتهم.
- عقد الندوات والمؤتمرات غير قاصرة على الرجال الأكاديميين فحسب بل والتي تعم كل من ينتمي إلى هذه الثقافة من الأساتذة والدارسين والدعاة.
- توسيع المكافآت والمنح الدراسية على طلبة اللغة العربية في أماكنهم الشتى.
- إمداد المدارس العربية الأهلية والمدرسين بالدعامات المادية والمعنوية لتشجيعهم وحثهم على مواصلة المسيرة.
- بناء دور الكتب الحديثة الغنية بالمراجع العربية والأدبية في جميع البلدان الإسلامية أمثال صكتو، وإلورن، وكنو، وإبادن، وكتشنة، ولاجوس، وزنفر وأمثالها في نيجيريا، كي يستطيع طلبة العربية الاحتكاك بها في معالجة بحوثهم العربية والأدبية.

الخاتمة:

تلك لمعة خاطفة عن المدّ العربي والأدبي في ديار نيجيريا العزيزة، وقد أشار الباحثان خلال ذلك إلى الحجر الأساسية التي تبنت عليها النهضة والازدهار الذي نلمسه اليوم في حقل التنقف العربي في هذا المجتمع الذي له شأن أثيل في رفع لواء اللغة العربية وآدابها والحفاظ عليها، كما شرحا التحديات المعرّقة دون السيرة عبر العصور، نسأل الله سبحانه التوفيق والسداد.

أهم المراجع

- 1- الإلوري، آدم عبد الله (1398هـ/1978م). الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ط2، مكان الطبعة غير مذكور.
- 2- الإلوري، آدم عبد الله (1405هـ/1985م). الإسلام اليوم وغدا في نيجيريا، مكتبة وهبة القاهرة.
- 3- الإلوري، آدم عبد الله (1982م). لمحات البلور في مشاهير علماء إلورن، المطبعة النموذجية، القاهرة.
- 4- الإلوري، آدم عبد الله (1990م). نسيم الصبا في أخبار الإسلام وعلماء بلاد يوربا، مكتبة وهبة، القاهرة.
- 5- أحمد أبوبكر عبد الله (1433هـ/2012م). المخطوطات العربية الإلورية: تاريخ وثقافة وفن، المعهد العبدلي لنشر الثقافات العربية الإسلامية، إلورن.
- 6- السنوسي، مصطفى زغلول السنوسي (1407هـ/1987م). أزهار الربا في أخبار بلاد يوربا. الطبعة الأولى، مطبعة شركة تكنو برس الحديثة بيروت-لبنان.
- 7- السنوسي، مصطفى زغلول (1411هـ/1991م). روائع المعلومات عن أقطار أفريقيا وبعض ما نبغت فيها من المملكات. الطبعة الأولى، مطابع الشرق الأوسط، الرياض.
- 8- زكريا إديس -أبو حسين (1428هـ/2007م). مفتاح قراءة القرآن الكريم، دار النور، أوتشي.
- 9- غلادنتي، شينحو أحمد سعيد (1414هـ/1993م). حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، شركة العبيكان للطباعة والنشر-الرياض.
- 10- مجمع اللغة العربية (1424هـ/2003م). المعجم الوجيز، جمهورية مصر العربية.